[4]
من أيِّ المجاهدين أنت؟
(12 جمادى الآخر 1433هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّـذي خلق فسـوّى، والّـذي قـدّر فهـدى، والحمد لله الّذي يخلق ما يشاء ويختـار، والصّـلاة والسّـلام على خـير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلّم.

ثمّ أمّا بعد؛

يقول الحقّ سبحانه وتعالى واصفًا حال المجاهدين في الجهاد: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}، وقد جـاء رجل إلى رسـول الله صـلّى الله عليه وسـلّم، فقـال: الرجل يقاتل حميـةً ويقاتل شجاعةً ويقاتل رياءً فأنّى ذلك في سبيل اللـه؟ قـال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله". قال شـعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وسوف نتكلّم بإذن الله في هذا المقال عن أصناف النـاس في الجهـاد؛ ليتـبين لكـلّ موحّد مجاهد في الثّغـور أو ينـوي النفـير، أصناف الناس في الجهاد، وليختر لنفسه ما يريد.

وأصناف المجاهدين في الجهاد أربعة أصناف:

- **<u>الصّنف الأوّل</u>: القيادة:**

وهذا الصّنف هو قليل في الحقيقة كثـير في الرغبـة، فصـفات القيـادة هي صـفات نفسـيّة ذات خصـائص مكتسـبة وفطريّـة، كالشّـجاعة والحكمـة، والمهـارة النّفسـيّة في طبيعة التّعامل مع الجنـد، والفراسة في إنـزال الجند منـازلهم، والجـرأة على العـدوّ، والحزم عند إصدار الأوامر، والقدرة على تكاليف الحـرب النفسـيّة والعمليّـة، والفقه في الأحكـام وكيفية إنزالها على الواقع وغـير هذه الأمور.

وهـذا يقـلّ في النّـاس عامّـة؛ ويكـون في العجم أقـلّ منه في العرب، وهي ميزة ميَّز الله بها العرب.

والقيادة نوعان:

-قيادة عامّـة؛ وهي الإمامة والخلافة وإمـارة الجماعـات، وهـذه لها أحكامها وشروطها وطرق عقدها.

-وقيـادة خاصّـة؛ وهي قيـادة جبهـات أو مجموعـات في عمل معيّن يُكلف به من الإمارة، وقد يدخل فيها إمارة الولايات.

والقيادة لها وعليها من الواجبات ما لا يعلمه إلا الله، والسّعيد من لم يُبتلَ بها، ومن سألها أوكل إلى نفسه، ومن بُليَ بها أُعين عليها.

ويختلف النّاس فيها؛ فمنهم القائد التّقي وهم كُثُر بفضل الله، ومنهم دون ذلك، وقد يكون رجل فيه صفات القيادة وليس عنده كثير التزام، وقد يكون فيه شيء من ارتكاب المعاصي والأمراض المستقبحة، كحبّ الظّهور والتّسميع بما يعمل والخلاف للبروز من بين من معه.

وهذا الصّنف موجود ولكنّه قليل، فإن عُزل من القيادة حقد وفسد، وإن تُرك أفسد حاله وأشكل غيره، وعلاجه العلم والإيمان.

- الصّنف الثاني: وهو البدل:

وهذا الصّنف هو أندر الموجود في الثغور؛ لما له من شخصيّة كبيرة ذات قدرات عالية جدًّا في استيعاب كل أعمال الجهاد، وهي بدل لكلّ أحد فإن غاب الأمير فهو أمير، وإن غاب الحارس فهو الحارس، وإن غاب القائد الميدانيّ كان هو وإن غاب...، فتجده في كل عمل قائم.

وهذه الشخصيّة هي الشخصيّة المحبوبة بين كلّ المجاهدين سواءً القيادة أو الجند، وهي الشخصيّة الفعّالة في الربط بين الجند والقيادة، ونادرًا هذه الشخصية ما تتأثر بالحظوظ النفسية، حيث أنها محترمة ومقدرة من كل أحد، ومنشغلة بأمور الجهاد كلّه، فهو القائد والجندي.

وللوصول إلى هذه الشخصيّة لا بد أن يكون المسلم المجاهد يتوفر فيه أمور منها: تقوى الله في كل الأحوال، والصّدق في حمل الجهاد فكرًا ومنهجًا، وكثرة الاطّلاع على أمور الإسلام والمسلمين، وحاجة الجهاد والمجاهدين، وكثرة المطالعة والقراءة في شؤون الجهاد، وتربية النّفس على القليل في كلّ شؤون الحياة، وعدم المبالاة بها، وتربيتها على حبّ الناس، وحمل همّ النّصح والمساعدة بالمقدور عليه في قضاء حوائج الناس، والصّبر على حسن الخلق عند الضّيق والتّعب؛ فقد تحسن الأخلاق والنّفس مرتاحة وتخرب والنّفس متعبة.

- الصّنف الثالث: وهم العُبّاد:

وهؤلاء هم مصابيح الجهاد، وهم قليل ولكن ليس كقلة من قبلهم، فتجد هؤلاء يقودهم إيمانهم، ففي النّهار أسد الوغى في المعارك، وخدم لإخوانهم في الرباط، ورهبان في اللّيل، يقضون جلّ أوقاتهم مع كتاب ربهم، وهؤلاء يتحملون من إخوانهم ما لا يتحمله غيرهم، وخاصة إذا فقدوا جوّ الإيمان الذي يحبونه ولا يستطيعون الخروج منه، فتراهم يتضايقون من جليس لا يذكّرهم

باللـه، أو جليس يكـثر المـزح معهم، ولـذلك تجد خلـواتهم إما على ملابس إخوانهم يغسلونها أو على صحون الطعام ينظفونها.

ولهؤلاء النـاس تعامل خـاص من قِبل الأمـراء، فبهم بـإذن الله ينتصر الجيش، وهذه الشّخصيّة تحتاج إلى توفيقٍ من الله سـبحانه، ومجاهدة النّفس حتى تصل إلى قوله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}.

وطريقة الوصول إلى محبّة الله واضحة لكل من أراد أن يسـلك طريقها، قال صلّى الله عليه وسلّم: "إن الله قـال: من عـادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليَّ عبدي بشــيءٍ أحبّ إليَّ مما افترضت عليـه، وما يـزال عبـدي يتقـرّب إليَّ بالنوافل حتّى أحبّـه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الـتي يبطش بهـا، ورجله الـتي يمشي بهـا، وإن سـألني لأعطينّـه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدت عن شيءٍ أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن؛ يكره المـوت وأنا أكـره مسـاءته" وبهـذا يصل العبد إلى محبة الله سبحانه، فيسهل عليه ما بعدها من العبـادات لقـرب الله منه.

- **<u>الصّنف الرابع</u>: وهم المزاجيٌّون:**

وهم ينقسمون إلى نوعين:

مزاجيِّون إلى الخير أقرب، ومزاجيِّون إلى الشّر أقرب.

وهذا الصّنف هو الذي يكـثر في الجهـاد، لطبيعة عبـادة الجهـاد، فهي مشتبهة بعبادة الحجّ الّتي يجتمع فيها كلّ المسلمين مؤمنهم وفاسقهم، وكـلّ على قـدر دينـه، وقد بيَّن رسـول الله صـلّى الله عليه وسـلم أن الله ينصر الـدّين بالرّجل الفـاجر، عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: شهدنا خيبر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل ممن معه يـدّعي الإسـلام: "هـذا من أهل النّـار" فلما حضر القتـال، قاتل الرّجل أشـدّ القتـال حـتى كـثرت به الجراحـة، فكـاد بعض النّـاس يرتـاب، فوجد الرّجل ألم الجراحة فـأهوى بيـده إلى كنانته فاسـتخرج منها أسـهمًا فنحر بها نفسـه، فاشـتدّ رجـال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدق الله حــديثك انتحر فلان فقتل نفســه، فقــال: "قم يا فلان فــأذِّن أنّه لا يــدخل الجنّة إلا مؤمن، إن الله يؤيّد الدّين بالرجل الفاجر".

- **أمّا النّوع الأوّل؛ فهم الذين لا تنقاد أنفسهم لمشـقّة الجهـاد وأوامر الأمراء إلا بالتذكير الدّائم بالله ومخافة الله، فهم إذا أُمِروا بأمر خالف رغباتهم تأوّلوه وعملوا بما ترغبه أنفسهم، فـإذا ذُكِّروا بالله رجعوا عن رغباتهم.**

مثـال ذلـك: قد يُـؤمر بـالقعود في مكـان ما ولا يتحـرّك منه إلا بأمر من الأمير، فيتـأوّل أنه لا يقصد ويقصد أو قد نسـينا أو.. أو.. فيترك المكان وينسحب، أو يمنع من مرور طريق ما أو لبس معيّن فيتـأوّل: هو لا يقصد هكـذا هو يقصد هكـذا فيلبسـوا ويمشـوا مع

الطّريق نفسه، ولكنهم عندما تذكّرهم بالله يرجعوا وينضبطوا، ثم يعودوا لحالهم الأول.

وهؤلاء على ما فيهم وأنهم متعِبون في الثّغور لأمرائهم، وقد يتسبّبون على إخوانهم بالقتل والأسر لا قدر الله في كشف مواقعهم، ولكنهم أخفّ من النّوع الذي بعدهم، وهؤلاء يحتاجون إلى تكثيف الدّورات الشّرعية، وحرمانهم من بعض الأعمال العسكريّة فترات لا تطول؛ حيث أنهم مَلُولُون من النّظام والانضباط اليوميّ.

- أمّا النّوع الثّانيّ؛ وهم المزاجيّة إلى الشّر أقرب، فهؤلاء لا ينفع معهم تذكير ولن تستطيع كسبهم بحسن الخلق والتعامل، فهم يرون حسن الخلق ضعف، ونفوسهم مجبولة على العناد، والعمل برأيه وما يراه هو، وشرّه وأذاه متعدي على إخوانه بسوء أخلاقه، وبذاءة لسانه، وتطاوله على إخوانه من أمراء وقادة.

وعادة لا تكون المشاكل في الجبهات والفرقة في الجماعات إلا بأمثال هؤلاء، وهم وقود كلّ فتنة، ولا تخلو منهم جبهة، وهذا الصّنف لا يصلح في دخول التّنظيمات، إنما يصلح في الجبهات المفتوحة التي يختلط فيها النّاس، ولا يخرج من الخطّ الأوّل في الجبهة حتّى يقلّ شرّه ولن ينتهي، وهؤلاء النّاس خطرهم على التّنظيمات الجهاديّة كبير جدًّا، وهم أقرب إلى النكوص عن الجهاد، وأكثرهم متطفّلون يحبّ أن يعرف كثيرًا من أمور الجهاد وكثيرًا من المعلومات، وضرره على الجماعة المقاتلة أكثر من نفعه.

فهذه أصناف النّاس في الجهاد، وليعرف كلّ منّا نفسه، وليختر كلّ واحد منَّا أحب صنف إليه.

وقد بيّن الرّسول صلّى الله عليه وسلم أنّ: "الغزو غزوان: فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشّريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كلّه، وأما من غزا فخرًا ورياءً وسمعةً، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف" رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

فهذه الخصال التي ذكرها الرسول صلّى الله عليه وسلم في الغزو الذي يحبه الله ويقبله سبحانه.

ومعنى:

-. ابتغى وجه الله: أي طلب رضاه وأخلص نيّته.

- وأطاع الأمير: أي في غير معصيةٍ ما لم تكن ضرورة تبيح المحظور؛ كطلب حلق اللّحية أو إسبال الثّياب وغيرها من الأمور التي تُقدَّر بقدرها ونوازلها، ويكون للأمير حق الاجتهاد فيها[1].

---

[1](?) ويحتاج هذا إلى الاستزادة في الإيضاح فيُرجع إلى كتبه ومصادره.

- وأنفق الكريمة: أي النفيسة الجيّدة من كلّ شيء خاص به فينفقه في سبيل الله، ولا يتعلّق قلبه في شيء من الدنيا، فإن الله قد وعده بخير منها جنّة عرضها السّماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا من باب التربية العظيمة للنفس، والارتقاء بها إلى مكارم الأخلاق، وقد قال سبحانه وتعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}.

- وياسر الشّريك: أي من المياسرة بمعنى المساهلة؛ أي ساهل الرفيق وعامله باليسر، فأصل الجهاد هو الجهد والمشقة، فلا يحتاج الزيادة بين المجاهدين بأن يشقّوا على بعضهم بعضًا، وقد بيَّن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قوله: "اللهم من ولي من أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به ومن شقّ عليهم فشقّ عليه" رواه أحمد في المسند.

- واجتنب الفساد في الأرض: أي كلّ ما هو فساد يجتنبه ويبتعد عنه، ومن أعظم الفساد البغي بغير الحقّ، وظلم الناس، ومن أشرّها في الجهاد الغيبة والنميمة، والتعدي على حقوق النّاس، والغلول من الغنيمة.

- فإن نومه ونبهه أجرٌ كلّه: أي هو على خير في حال نومه وفي حال يقظته ما دام غازيًا في سبيل الله؛ لأن كلّ حركة وسكون منه من حين يخرج إلى أن يرجع خير، فكله له أجر، وهذا يدلّ على عظم ثواب من خرج في سبيل الله يريد بذلك وجه الله، ويريد بذلك إعلاء كلمة الله، ولم يكن همّه الدّنيا وحطامها.

- وأما الغزو الثّاني الذي لا يحبّه الله: وقد لا يقبله سبحانه ولن يرجع صاحبه بالكفاف: أي لم يرجع لا عليه ولا له من ثواب تلك الغزوة وعقابها، بل يرجع وقد لزمه الإثم؛ لأن الطاعات إذا لم تقع بصلاح سريرة انقلبت معاصي والعاصي آثم، بل قد يخرج الغازي من بيته ومعه من الأجور كالجبال ولا يرجع منها بشيء؛ فقد اغتاب هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، وآذى فلان، وغلّ، وعصى الأمير، نسأل الله العافية والسلامة.

ونختم بنصائح علَّ الله أن ينفعني بها ومن قرأها من المسلمين:

أولاً: إن تقوى الله رأس كلّ خير، منها البركة في كلّ عمل، وبها يفتح الله على العبد بالعلم والحكمة.

ثانيًا: إن مكارم الأخلاق صفات مكتسبة، يصل لها المسلم بالعلم والعمل، والتّربيّة عليها تكون من قناعة النّفس بأهميّتها وضرورة التّعامل بها في كلّ أحوال المسلم.

ثالثًا: إن المجاهد في سبيل الله قد ارتقى إلى منزلة عالية؛ كما قال صلّى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "... أَوَلا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؛ أما رأس الأمر

فالإسلام فمن أسلم سلم، وأما عموده فالصّلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله... الحديث" [رواه الإمام أحمد].

فكل النـاس ينظـرون إلى المجاهد بهـذه الصـورة، ويُـرى في المجاهـدين صـورة أبي بكر الصّـديق وعمر بن الخطّـاب وعليّ بن أبي طـــــالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهم أجمعين، وأيّ خطأ مهما صغر فهو في عيون النّاس كبير، وفي عيون الأنصـار عظيم، لما للجهاد من شأن ورفعة، وحـديث الثّلاثة الـذين تسعَّر بهم النـار يـبين رفعة المجاهد في الـدنيا، قـال صـلّى الله عليه وسـلم: "إن أوّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرفهـا، قـال: فما عملت فيهـا. قـال: قـاتلت فيك حـتى استشهدّت. قال: كذبت؛ ولكنّك قاتلت لأن يقال جريء. فقد قيـل. ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النّار...". الحديث

رابعًا: أنّ الإنسان المسلم أعظم شيء في وجوده بعد الإيمــان هي الأخلاق التي بها يُحبّ في مجتمعـه، ويُؤلف به كل من عرفـه، وهـذه من علامة حبّ الله لـه، كما ورد في السّـنة من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله صـلّى الله عليه وسـلم قـال: "إن الله إذا أحبّ عبــدًا نــادى جبريــل: إني قد أحببت فلانًا فأحبّه قـال: فيقـول جبريل لأهل السّـماء: إنّ ربّكم أحبَّ فلانًا فـأحبّوه، فيحبّه أهل السّماء. قال: ويوضع له القبـول في الأرض وإذا أبغض عبدًا فمثل ذلك" قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صـحيح على شـرط مسلم.

اللّهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها.

اللّهم وفّقنا للجهاد، وأعنَّا عليه، وعلى الدّعوة إليه، واجعل اللّهم لنا القبول بين العباد.

اللّهم اجعلنا من جندك المنصورين، المؤَيَّدين بنصرك وتأييدك ورضاك، واختم اللّهم لنا بشهادةٍ ترضيك عنَّا، إنّك أنت الكريم الرّحيم.

والحمد لله ربّ العالمين.